8

شـرق آسيـا

الصين: في طريقها للنهوض

لقد كان تشو أن لاي (المولود في عام 1889) رجلاً خبر الحياة لمدة طويلة عندما كان رئيس وزراء الصين الجديدة ووزير خارجيتها عام 1949. جاء تشو أن لاي إلى فرنسا عام 1920 في جولة كان من المفترض أن تجمع بين الدراسة والعمل. ولإيمانه بالأفكار الماركسية، عمل خلال الأربع سنين اللاحقة له على تنظيمِ مجموعاتٍ من الطلابِ والعمال الصينيين في فرنسا وألمانيا للتدريب على العمل الثوري، بل وعبر ببعضهم إلى الاتحاد السوفيتي في الوقت الذي كان هناك شاب صيني آخر ناشط على نحوٍ مماثلٍ هو دنغ شياوبنغ. وفور عودته إلى الصين وجد تشو نفسه قائداً للمنعطفات والتقلبات التي شهدتها العلاقةُ بين الكومينتاغ والحزب الشيوعي في العقدين الثاني والثالث من القرن العشرين. إنها الشيوعية "على الوجه الذي تريده الشيوعية الأممية" هي ما وفرت له سبيل الرشاد في مستهل حياته. وفر تشو الدعم لماوتسي تونغ حتى نال قيادة الحزب في أواسط الثلاثينيات من القرن العشرين على الرغم من أنه لم يتلقى تدريباً كافياً. وبعد عام 1937 حتى نهاية الحرب كان كثيراً ما يتواجد تشو في تشونغتشينغ حيث يقوم بدورٍ جوهريٍ في إدارة العلاقات بين الحزب الشيوعي والحكومة التابعة للحزب القومي. وفي نهاية الحرب

أيضاً كان أحد الشخصيات الرئيسية في المحادثات التي علق عليها الأمريكيون آمالهم في التوصل إلى حلٍ عبر المفاوضات يوقف الحرب الأهلية. كما قام أيضاً العميد جورج مارشال في عام 1946 بجهدٍ وافرٍ في العمل على نفس الهدف ولكن دون جدوى. كما قام أيضاً ستالين بمد يد المساعدة للتوصل إلى معاهدة صداقة وتحالف مع شيانغ كاي شيك والتي جلبت عليه تنازلاتٍ عن بعض الأراضي. في عام 1947 بدى أن النصر سيكون حليف الحزب القومي لما له من تفوقٍ واضحٍ في العدد والعدة، إلا أن الضعف الناتج عن الفساد والارتداد المذهبي وفقدان الروح المعنوية قاد الحزب القومي إلى الفشل بجدارة. أخذ شيانغ حكومته والكثير من جيشه بالقدر الذي يستطيع أن يديره إلى جزيرة فورموزا/ تايوان (التي أعادتها اليابان للصين عام 1945)، ولا زال يشغل مقعد الصين في مجلس الأمن بفضل الدعم الذي يحظى به من الولايات المتحدة.

من فوق المنصة التي تشرف على ساحة تيانانمن في وسط بكين في الأول من أكتوبر عام 1949 أعلن ماو تسي تونغ عن جمهورية الصين الشعبية الجديدة ونصب نفسه حاكماً لها بالإضافة إلى رئاسته للحزب الشيوعي. تم تدشين الديمقراطية الجديدة بعد عقدٍ من حربٍ متقطعةٍ وفي ظل ارتفاع معدل التضخم، لذلك كان هناك الكثير الذي يتعين فعله وكانت الرسالة هو أن الصين نهضت، وهي كلمة تعبوية قوية تعود إلى الحزب القومي، فما كان من هؤلاء الذين لم يتمنوا يوماً أن يسمعوها من أفواه الشيوعيين إلا أنهم فروا إلى تايوان أو هونج كونج التي لا زالت مستعمرة بريطانية أو حتى إلى أبعد من ذلك بكثير. أين تقف الصين في هذا العالم؟ لم يكن ماو أبداً رجلاً كثير الترحال ولم يكن ينوي أن يغير من نفسه، فبعد رفضٍ تام اقتنع بزيارة موسكو، فقد كان يؤمن بمركزية الحضارة الصينية (Sinocentric). لم يعد للحماية الأمريكية التي عرضتها الولايات المتحدة على الصين أي وجود، حيث سيقف الشعب الصيني على قدمه (بإدراكه لتنوعه والذي يدل عليه رمزياً على الأقل النجوم الموجودة على العلم الجديد للدولة)، وسوف يستنزف ذلك وقتاً طويلاً ويستلزم عملية تغيير مستمرة. يجب تصنيف عملية إصلاح الأراضي التي بموجبها تم توزيع على الأقل 200 مليون فدان على ما يقرب من 75 مليون أسرة من المزارعين كأحدِ

أكبرِ عمليات مصادرة الأراضي. لم يكن للصين أن تستنسخ هياكل حكومتها عشوائياً من أي منظومةٍ أخرى، إذ كانت بحاجة إلى إحكام السيطرة حتى تتجنب ما حدث في الماضي من تفتت آل إلى الوهن. كان من الصعب فهم الرسائل. فهل كانت الرقابة الطفيفة على المؤسسات التجارية محض خطةٍ أوليةٍ. قيل الكثير عن الحرية لكن لم يمر وقت طويل حتى اكتشف الانحراف غير المقبول عنها. لم تكن المكونات الدقيقة للمعمار الأيديولوجي الدالة على صحة المذهب واضحة بحيث يسهل التحاكم إليها. يمكن القول الآن بأن الصين في طريقها للنهوض لكن بنيانها الأمني متهاود، هل كان يمكن للصين أن تصمد وحدها؟ فبعد تسعةِ شهورٍ من إعلان الجمهورية الجديدة، اندلعت الحرب في شبه الجزيرة الكورية.

كوريا: مشكلة شبه الجزيرة – المختبر العالمي

لم تلقى كوريا كثير اهتمامٍ على مدار عقودٍ من الزمن، حتى جاء مؤتمر القاهرة الذي عُقد في عام 1943 وقرر أنه عقب هزيمة اليابان يجب أن تنال كوريا استقلالها. ومع ذلك الحسم الذي اتسم به القرار، إلا أن الأمر لم يكن كذلك. فقد تم تقسيم شبه الجزيرة إلى قسمين على امتداد خط عرض 38 حيث يحكم الاتحاد السوفيتي الشمال وتحكم الولايات المتحدة الجنوب، على الرغم من أن أحد مهام الأمم المتحدة هو الحفاظ على وحدة الدول. استجابة لرغبة أمريكا، تم تعيين لجنة تابعة للأمم المتحدة. وسعياً إلى تحقيق ما نوته من إجراء انتخابات لهذا الغرض، لم يسمح للجنة بالدخول إلى الشمال. أسفرت الانتخابات عن فوز حكومة يرأسها ري سنغ مان أعلنت لنفسها السلطة على شبه الجزيرة بأكملها. على الجانب الآخر، كانت هناك الحكومة المنافسة بقيادة كيم إل سونغ في بيونغيانغ يدعمها الاتحاد السوفيتي. عاد كيم إل سونغ إلى وطنه بعد فترة قضاها في منشوريا كمتحدث يجيد لغة الماندراين الصينية وأيضا كقائدٍ في الجيش برتبة رائد في الجيش الأحمر، وفوق كل ذلك ينحدر من أسرة ذات مرجعية مسيحية بروتستانتية. أعدت كوريا الشمالية نفسها لقائدٍ عظيم. عندما عاد ري سنغ مان ذو السبعين عاماً إلى كوريا الجنوبية عام 1945 بعد فترة ثلاثين عاماً قضاها على الأغلب في الولايات المتحدة. اعتنق ري الميثودية وحصل على

درجة الدكتوراه من جامعة برنستون وتزوج من زوجة نمساوية. ومما يثير الدهشة أنه كان هناك نوعاً ما من الانتقائية بعض الشيء أثارت جدلاً حول المسار الديمقراطي للسياسة في كوريا الجنوبية.

سحب كلٌ من الاتحاد السوفيتي وأمريكا قواتهما في عام 1949 مخلفين ورائهم حرباً كلاميةً بين الحكومتين. وفي الخامس والعشرين من يونيو عبرت قوات كوريا الشمالية الحدود إلى كوريا الجنوبية وفي اليوم التالي أحكمت سيطرتها على العاصمة الجنوبية سول، كان هذا عملاً يختبر ما المقصود فعلاً بالعالم. فعلى صعيد يُعد هذا كفاحاً مسلحاً بين فصيلين متنازعين حول حكم دولة لم يكن لها وجود منذ عام 1910 (اتفق الطرفان على أنه ينبغي أن يكون هناك دولة). وهذا لا يعني بالضرورة حرباً عالميةً أخرى أو حتى سبباً للتدخل الخارجي. وعلى صعيدٍ آخر فإن أي نجاح لطرف على الآخر لا يُعد إلا نصراً لمن يؤيده. ويمكن القول (وهو ما يبدو على هذا النحو) بأن الهجوم الشمالي لم يكن ليحدث إلا بدعم سوفيتي. ويمكن تفسير هذا الدعم السوفيتي بأنه قائم على أساس أن تضرب أولاً ثم تحبط إمكانية أي هجوم جنوبي، وأيضاً على افتراض أن واشنطن سوف تقبل بالأمر الواقع، إلا أن وزير الخارجية الأمريكي دين جودرهام آتشيسون كان قد قام باستبعاد كوريا من المحيط الدفاعي الذي أنشأته الإدارة الأمريكية. وفي نفس الوقت ما لم يكن هناك تدخل خارجي فسوف يذعن الجنوب بكل سهولة، غير أن التدخل الأمريكي المباشر قد يوجد أزمة، فسوف يشير ذلك بوضوح إلا ضعف الأمم المتحدة، ذلك المولود الجديد، عن القيام بمهامه. والقضية الآن ما إذا كانت الأمم المتحدة قادرة على أن تجبر الشمال على الانسحاب أو في حالة فشلها في ذلك أن تساعد الجنوب. وبما أن الحل الأول فشل فقد صدر قرار عن مجلس الأمن بتفعيل الحل الآخر. وبالفعل تمكنت القوات التابعة للأمم المتحدة بقيادة الجنرال الأمريكي دوغلاس ماكارثر بتحويل مسار المعركة. عبرت كوريا الجنوبية وقوات أخرى خط العرض 38 في أكتوبر وتقدمت حتى الحدود الصينية. لذلك يمكن رؤية هذه المرحلة بأنها إقرار "للنظام العالمي" بوجود حالة "التضافرالعالمي "يمكن إحباط أي "عدوان". في الحقيقة كان هذا التضامن العالمي ممكنا بالفعل بسبب

امتناع الاتحاد السوفيتي عن التواجد أثناء التصويت على القرارات المتعلقة بهذا الشأن في مجلس الأمن. لم يكن لدى جمهورية كوريا الشعبية مكاناً في الأمم المتحدة. كان هذا بعيداً عن كونه مثالاً عملياً على تلقين المذنب المنعزل درساً، خصوصاً فيما يتعلق بالدول التي ساهمت بقواتها. وسرعان ما بدا واضحاً بأن المذنب لن يبقى وحيداً. بل بدا وكأن الجنرال ماكارثر متجهاً بقواته صوب نهر يالو على الحدود الصينية. ويمكن أن يمثل هذا تحقيق الوحدة الكورية، لكن هذه المرة تحت رعاية الجنوب. ونتج عن ذلك أيضاً تدخل صيني مباغت، حيث أعاد هذا إلى الذاكرة الهجوم الذي شنته اليابان على منشوريا من ناحية كوريا عام 1931. كان بإمكان الأمريكيين – أو اليابانيين الجدد – فعل الشيء نفسه، ومما عزز هذا الارتباط العاطفي الموقف الأمريكي في اليابان – وهو ما سوف نناقشه بعد قليل. وماكارثر هو أيضاً الشخص الذي قام بزيارة ودية إلى تايوان عقب اندلاع الحرب، فاجتمعت بذلك كل الأسباب لتعزيز هذا الخوف. فقد كان النظام الجديد في الصين محاطاً بالأخطار، لذلك أقدم على توجيه ضربة استباقية. الحفاظ على تماسك الدولة شغل بال ماو عن أن يتعاون مع نظيره الكوري كيم إل سونغ. زادت حدة المخاطر عندما توجهت قوات صينية متطوعة ناحية الجنوب. في مطلع عام 1951 استطاع هجوم عدواني للصين إحكام قبضته على سول، لكن سرعان ما زال. لم تفلح أي وساطة في وقف إطلاق النار. ففي برقية من ماكارثر إلى مجلس الشيوخ الأمريكي طالب فيها ماكارثر بتوجيه ضربة مباشرة إلى الصين واستبعاد التسوية القائمة على العودة إلى حدود خط عرض 38. واستمر القتال بين مدٍ وجزر. وكان ماكارثر يلوح باستمرار إلى رغبته باستخدام القنبلة الذرية إن تطلب الأمر ذلك، لكن في الحادي عشر من إبريل عام 1951 أقاله الرئيس الأمريكي ترومان. عبر مسار مطول جاءت النهاية في يوليو عام 1953 عندما تم التوقيع على اتفاق هدنة تقوم على أساس التقسيم السابق لكوريا. لم يكن الأمر عادياً بالمرة، فإن هذه المجازفة ل كيم إل سونغ قد أودت بحياة أربعة ملايين من البشر من بينهم ابن Mao Zedong نفسه.

وبعد ثلاث سنين من الحرب المتقطعة لم يظهر في الأفق إلا حل العودة بكل بساطة

إلى الوضع السابق في آسيا عام 1950. إلا أن الحرب قد أرست بكل وضوح مبررات قوية للشكوك المتبادلة التي تضمرها جميع الدول من صغيرها إلى كبيرها. ولا زالت ماهية تصور "العوالم الأخرى" عن "شرق آسيا" وكيف وصلت إليهم مبهمة. بالتأكيد فرضت الصين نفسها إلا أن الدور الذي لعبه جنودها في كوريا لا يعد دليلاً على إمكانية الدفاع عن نفسها ضد جميع اللاعبين. يشير ذلك أيضاً إلى ضرورة التوجه، على الأقل في المستقبل القريب، إلى تقوية العلاقات مع الاتحاد السوفيتي وتحديث الجيش على الحدود السوفيتية. لم يكن للحظر للتجاري الذي فرض على الصين إلا النتيجة المتوقعة سلفاً وهي الزيادة بشكل ملحوظ في نسبة التجارة مع الدول الشيوعية – وهو مما عزز من مفهوم "الكتلة". أضافت مثل هذه النزعات زخماً إلى الصورة الخارجية، القائمة بشكل ملحوظ لدى الولايات المتحدة، بأن هناك رابطة صينية سوفيتية قوية. وإذا كان هناك بارقة أمل، في الستة شهور الأولى بعد 1 أكتوبر عام 1949، بأن الصين الجديدة والولايات المتحدة قد يتلمسا طريقهما في الظلام نحو علاقة عمل مقبولة، إلا أن الحرب الكورية قد وضعت حداً لها. من واشنطن كان نظام بكين يقدم على أنه ما هو إلا حكومة روسية كولونيالية. لم يكن ماو نفسه يقبل هذه الفكرة، فميله إلى التوجه السوفيتي لا يستدعي استنساخ جميع مناهجه. وزيارته إلى موسكو عام 1949 تؤسس لفكرة أن الاتحاد السوفيتي أو على الأقل ستالين شخصياً يمثل النموذج الأسمى في "العالم الشيوعي". وعندما مات ستالين في عام 1953 لم يضفي ماو نفس الهالة على خلفائه – كما يمكن أن يتضح ذلك في زيارة خروتشوف للصين عام 1953. وعلى الرغم من ذلك فإن تصور محور بكين/ موسكو قد ترسخ لدى الأمريكيين. ورداً على ذلك فإن الولايات المتحدة تؤكد على أمن النظام التايواني وإن كانت غير عابئة بالجزر الأخرى الصغيرة التي تقع على سواحل تايوان.

جنوب شرق آسيا: انحرافات وانقسامات وحلول من الخارج

كان لتأسيس الجمهورية الشعبية انعكاسه على جنوب الصين. فبعد شهورٍ قليلةٍ من التخلي عن محاولة التكيف مع هو تشى أخذت الاستراتيجية الكولونيالية الفرنسية في الهند الصينية اتجاهاً آخر، فبدلاً من ذلك تم التوصل إلى اتفاقية مع إمبراطور أنام (وهو الاسم

السابق لفيتنام قبل عام 1945)، باو داي، نتج عنها إيجاد دولة جديدة" فيتنام" مع تنصيبه حاكماً لها، وأعلن عنها كإقليم غير مدمج داخل الاتحاد الفرنسي في نهاية عام 1949. الوضع نفسه تم الاتفاق عليه بين لاوس وكمبوديا. لم يكن بمقدور فرنسا أن تذعن للاستقلال التام. ومن جهته لم يكن هو تشى يميل إلى التسوية. لكن وجود الصين الشيوعية غير السياق، فبدأت هجمات فيت مين، وبدأ الكفاح المسلح المطول إلا أنه رغم ذلك متذبذب. من وجهة النظر الفرنسية كان الوضع معقداً بسبب التنافسات -الشخصية والعرقية والثقافية والدينية -التي زادت في الدول الثلاث. كل هذا ساعد على اكتشاف إلى أي مدى كانت "الهند الصينية الفرنسية" خيالاً سياسياً. تزايدت الخسائر الفرنسية لكن لم يكن لفرنسا أن تستسلم على الأقل بسبب الرسالة التي تريد أن توجهها إلى أماكن أخرى، خصوصاً الجزائر. على الرغم من ذلك رأت الحكومة الجديدة في باريس في يونيو عام 1954 أن لا بديل عن طلب التسوية، فقبل هذا التاريخ بشهر، منيت حامية عسكرية فرنسية بهزيمة مخزية (قدمت الولايات المتحدة مساعدات سرية لفرنسا). تطلعت فرنسا إلى الدعم الأمريكي للتوصل إلى تسوية عبر المفاوضات. نادى البعض في واشنطن بالتدخل إلا أنها خلصت في النهاية إلى أن هذا قد يؤدي إلى تدخل الصين وبالتالي ربما إلى حرب عامة في آسيا. كان الوقت مناسباً لمحاولة تسوية مسائل الخلافة المتعلقة بشمال وجنوب شرق آسيا على التوالي، حيث بدأ بالفعل مؤتمر في أبريل في جنيف حول الشأن الكوري. وفي هذا الحدث، أُحرز تقدم محدود حول القضية الكورية وتحدد مستقبل الهند الصينية والذي كان من المفترض أنه قد تم تسويته. نظرة عابرة إلى هذا المؤتمر توضح الطريقة التي سوف يتعامل بها العالم مع آسيا، ففرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة يمثلون "الغرب"، وهناك كذلك الاتحاد السوفيتي الذي يقع جزء منه في آسيا وآسيا التي تمثلها جمهورية الصين الشعبية والكيانان الفيتناميان. لم يقبل وزير الخارجية الأمريكي جون فوستر دالاس أيادي تشو انلاي الممتدة، فلم يجلس الرجلان حتى في غرفة واحدة. لم تعترف كل من الولايات المتحدة وجمهورية الصين الشعبية ببعضهما البعض دبلوماسياً (على عكس المملكة المتحدة التي فعلت ذلك مع جمهورية الصين الشعبية)، فكان الدور الذي استطاع وزير الخارجية البريطاني لعبه ذو مغزى. حيث أوضح إدين قبل المؤتمر أن

بريطانيا ستتوقف عن المساعدات العسكرية في الهند الصينية. في الواقع لم يكن لدى بريطانيا القدرة على المساعدات العسكرية، فخلال هذه الفترة كانت قواتها متورطة في مالايا في التعاون مع العصيان المسلح الذي شنه الحزب الشيوعي الماليزي المُهيمن عليه من قبل الصين. كان الفارق هو أنه بحلول عام 1954 كان هناك اجماع على نجاح الحملة المضادة للعصيان المسلح (على الرغم من استمرار حالة الطوارئ ست سنينٍ أخرى). شعر البريطانيون ببعض الرضا أنه(على خلاف فرنسا) عندما يتوجب الرحيل عن مالايا فإن هذا سوف يحدث بشكل منظم. وفي أول ظهور للعالم بشكل مربك، شعر تشو بأن الغرب لم يعد ذلك البنيان القوي على النحو الذي من المفترض أن يكون عليه. لم يكن لموقف الاتحاد السوفيتي وقع مربك على الصين، بل ولم تسعى موسكو إلى دعم موقفها بقوة. هذا الصراع وضع الولايات المتحدة في مأزق، فعلى الرغم من عدم تغير رأيها نظرياً عن الكولونيالية الأوروبية وأنها يجب أن تنتهي إلا أنه إذا أدى الانسحاب الفرنسي إلى فتح الطريق أمام التوغل الشيوعي، فسوف يكون هذا الأمر أيضاً غير مستساغ. محيرة هي، ولكنها جذابة، فكرة القومية القائمة على "الديمقراطية". في حالة حدوث تدخل أمريكي مباشر في هذه الظروف فإن هذا قد يأتي بنتيجة عكسية، لكن في حالة حدوث مثيله فقط من الصين فسوف يعجل بالتدخل الأمريكي. لم يكن لدى الولايات المتحدة رغبة في التورط مرةً أخرى في صراع جديد على الطريقة الكورية على الأقل إن لم يكن كما اعتقدت مؤخراً أنها تزودها بـ 90 بالمائة من الأيدي العاملة. بدت الهند الصينية شأناً داخلياً غير ذو أهمية كبرى بالنسبة "للعالم الحر". خطوة بخطوة، قيل بأن الصين سوف تكون في مكانة تسمح لها "أخيراً" بالسيطرة على غرب وجنوب غرب المحيط الهادئ.

ظهر للعيان رسائل مختلطة حول نتائج المؤتمر، فلم تتحقق تطلعات فيت مين حتى الآن إذ تم تقسيم فيتنام إلى دولتين منفصلتين عن طريق خط عرض (هذه المرة خط عرض 17)، (على الرغم من أن الإنتخابات التي كان من المقرر أن تجرى، عام 1951، كانت لتقود الوحدة). لم تكن النتيجة هي التي أغضبت الصينيين. لقد تم تزويد هو شى في ساحة الحرب لكن تم العمل على إظهاره غير ذي أهمية كبيرة، فقد أخبر تشو خروتشوف

في عام 1954 بأنه في حالة أن كان لفرنسا اليد العليا، فسوف يترك هو شيء منه إلى مصيره. خلف كل هذه العواطف يكمن ماضي تاريخي طويل. على صعيدٍ آخر تم أيضاً إعلان لاوس وكمبوديا دولتين مستقلتين. تحدث تشو بإيجابية عن حيادية هاتين المملكتين. وضعت الهزيمة النهائية لفرنسا نهاية مهمة نشر الحضارة التي استمرت لمدة ثلاثة أرباع القرن، في حيت لازال ميراثها السياسي والثقافي مستمر. وإذا ما أخذنا الوضع القائم في كوريا (وكذلك في أوروبا وفي ألمانيا)، فسوف يبدوا وكأن العالم قد اعتاد تلك الحالة التي ينبثق فيها عن "الأمة" الواحدة عده دول متمايزة أيديلوجياً. فمصطلح الديمقراطية هو ما استخدمه كلا الطرفين ومؤيدوها من القوى العظمى ليصفوا بها أنظمتهم وأيديولوجيتهم. كانت "المثل العليا"، أينما تمت صياغتها، في حالة المخالفة تحظى بنفس القدر من الشرف الذي تحظاه في حالة الالتزام. يمكن أن يكون لدى الديمقراطية أكثر من صياغة جذابة، إلا أن الشيوعية وُجدت لتكون كلاً غير مجزأ. لا بد أن يتم احتواء انتشار جنوب شرق آسيا. ومن هنا أخذت الولايات المتحدة الأمريكية على عاتقها دور الريادة في تشكيل منظمة معاهدة تعتمد على نموذج منظمة معاهدة حلف الناتو (تم التلميح بالفعل إلى العضوية الباكستانية). لم يكن هناك أعضاء آسيويون آخرون سوى الفلبين وتايلاند. والتحق كل من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا باستراليا ونيوزيلندا. أبدت حكومة استراليا حماساً جلياً في أن تبعث قوات تابعة لها للقتال في كوريا، وقد وقعت كلتا الدولتين ميثاق مع الولايات المتحدة عام 1951. على الرغم من أن ملكة بريطانيا "اليزابيث" قامت بأول زيارة لها كملكة على العرش إلى استراليا عام 1954، وكانت هجرة البريطانيين تتدفق إليها، إلا أن استراليا بدت وكأنها تميل ناحية آسيا.

اليابان: العجز عن مواصلة المعركة

قبل عام 1954، كانت اليابان هي أكثر القوى أهمية في آسيا، إلا أنها الآن لم يعد لها أي دور تلعبه بشكل مباشر في تشكيل آسيا. أما بعد الحرب، فقد أصبح تشكيل اليابان نفسها تقريباً حقاً حصريا في أيدي الولايات المتحدة. ولذلك فإنها لم تشهد أي تقسيم مناطقي تتنازعه قوى مختلفة. لا زال النظام الإمبريالي قائماً. فلم يعزل الإمبراطور هيروهيتو ولم

يحاكم كمجرم حرب – على الرغم من وجود بعض محاكمات جرائم الحرب – لكن في ظل الدستور الجديد الذي تمت صياغته في عام 1946 (من أجل أن يطبق في العام اللاحق) تحت أعين القائد الأمريكي الأعلى" مكارثر" تحول إلى ملك دستوري يتمتع بفرصة كبيرة في ممارسة اهتمامه الغير مؤذٍ بعلم الأحياء البحرية. ظلت الحكومة اليابانية موجودة تحت الإشراف اليقظ لمكارثر. كان هناك اتجاهاً نحو التخلص من الخدمة المدنية، إلا أنها كانت تتزايد. كانت الدفة تدار، بطريقة مشاكسة لتدفع اليابان إلى المسار الغربي وذلك عن طريق حق المرأة في التصويت وحرية الصحافة والاعتراف بالنقابات العمالية. اعتقدت بعض الأصوات الخارجية، التي كانت تأن من تجارب الحرب، بأن منهج سلطة الاحتلال كان يشوبه رغبة في إعداد اليابان كدولة يمكن الاعتماد عليها. من ناحيةٍ أخرى فإن أي هجوم حاد على "العادات" قد يجلب ردود فعل ليست في صالح الديمقراطية النيابية الناشئة. كان الانتعاش الاقتصادي هو المفتاح، على الرغم من أن النجاح الاقتصادي سوف يجلب معه مشاكله. لأسباب واضحة لم تشارك اليابان بنفسها في الحرب الكورية، فهي لم تحصل على استقلالها إلا عام 1951. دعي كل من المملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية خمسين دولةٍ أخرى إلى مؤتمر في سان فرانسسيكو في سبتمبر عام 1951 لإنهاء تسوية مع اليابان. لقد ظل هذا محل نقاش لبعض الوقت، تحت مختلف التسميات. قبل الاتحاد السوفيتي لكن خلال الحدث رفض التوقيع على الاتفاقية الناشئة. وأنكرت اليابان رسمياً كوريا وتايوان وجزر الكوريل وجنوب سخالين.

على الجانب الياباني، كانت الشخصية الرئيسية على مدار عقد ما بعد الحرب هو يوشيدا شيغهرو الذي تولى منصب رئيس الوزراء ووزير الخارجية من 1948 حتى تم خلعه من منصبه عام 1954، وأصبح العمود الفقري في عملية إعادة الدمج بعد الحرب. في عام 1948 كان يبلغ من العمر 70 عاماً، فقد التحق بالخدمة الدبلوماسية اليابانية عام 1906، وهو عام الحرب بين روسيا واليابان، عندما هزمت قوة آسيوية لأول مرة قوة أوروبية. فقبل هذا العام بأربع سنوات تم إبرام التحالف الأنجلو ياباني. فحياته المهنية التي توسطت الحربين جعلته يذهب إلى روما ثم إلى لندن، حيث كان سفيراً في فترة

حاسمةٍ في تاريخ العلاقات الأنجلو يابانية ومدافعاً (على الرغم من إخفاقه في ذلك) في جميع أنحاء العالم عن الاتفاقيات التي أُبرمت بين الجانبين بشأن قضايا سياسية واقتصادية. قاده دوره الذي لعبه في اليابان عقب عودته عام 1938 إلى السجن للمرة الأولى عام 1945. على الرغم من أن الولايات المتحدة هي ما كان يجب أن يتعامل معها عن كثب، إلا أن معرفته المباشرة بعالمٍ يتحدث الإنجليزية سهلت له الكثير من العلاقات عبر السنوات التي قضاها في منصبه. هناك منعطف أخير غير متوقع في حياته، فقد انجذب إلى الكاثوليكية، سراً، لعدة سنوات، وعُمد عام 1967، أي عام وفاته. كان تطوراً يكشف عن التيارات التي تعرض لمن يعملون في مجتمع اليابان.

تعلن المادة 9 من الدستور الياباني أن الشعب الياباني تخلى عن الحرب إلى الأبد، أو التهديد بها، كحقٍ سياديٍ للأمة. لهذا السبب لم تعد تحتفظ اليابان بأي قوات برية أو بحرية أو جوية. كانت خطوة صارمة، بقدر ما هي ناتجة عن إصرار أمريكي بقدر ما هي تحول في الشعب الياباني بأكمله. في نفس اليوم الذي وقعت فيه معاهدة سان فرانسيسكو، أبرمت فيه معاهدة منفصلة بين الولايات المتحدة واليابان. استطاعت الولايات المتحدة توفير قوات برية وبحرية وجوية في اليابان وحولها. ليس لليابان أن تتدخل ولو بكلمة في استخدام هذه القوات لحماية "السلام والأمن الدولي في الشرق الأقصى، وسوف تقوم الولايات المتحدة بحماية اليابان ضد أي هجوم خارجي، بل ويمكنها استخدام القوات داخلياً، في حال طلبت الحكومة اليابانية ذلك، ضد أحداث الشغب (على افتراض أنها تثار من الخارج). ويمكن للولايات المتحدة استخدام حق الفيتو إذا ما أرادت الحكومة اليابانية أن تسمح لأي قوة أخرى بإيجاد قواعد لها أو أن تمركز قواتها داخل الإقليم. لذلك ظلت اليابان مركزية لدى صناع القرار الأمريكي في آسيا. وفي عام 1954، عندما دار الحديث عن أحجار الدومينو، كانت اليابان توصف بأنها "حجر الأساس للسياسة الأمريكية في الشرق الأقصى". بينما تمثل الصين التي جعلت من نفسها حاميةً لجنوب شرق آسيا ولليابان عاملاً أكثر خطورة مما كانت عليه اليابان في السياسة العالمية. كان هناك جانبا غريبا، على الرغم من كونه مُتفهماً، في توقيعات سان فرانسيسكو، فلم تشارك الصين

ولم توقع على شيء، على أي حال كان غيابها أفضل من حضورها، إلا أنه كان تصرفاً غريباً أن تدعي أنها تسوي مسألة مستقبل آسيا. وبنفس درجة الغرابة مع نفس درجة التفهم كان موقف اليابان المقيدة عسكرياً. كانت اليابان ظاهرياً متقوقعة دون حدٍ زمني داخل عالم المحيط الهادي المعزول على الأقل بقدر ما كانت تتطلب سياسة القوة عن آسيا التي كانت لها لمدة نصف قرن مصدر جذب وتهديد. إلا أن المحيط الهادي أصبح فيما بعد مجرد بحيرة أمريكية.

العالم الثالث والعوالم أخرى

محتوى هذا الفصل، والفصلين السابقين، يلقي الضوء على الانسحاب (أو الطرد) الواضح لكن لازال غير مكتمل للقوى الأوروبية الاستعمارية. التفكير في "بقية العالم" كما كان غالبا يحدث بدرجات متفاوتة في أوروبا والولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي يكشف عن عقلية عميقة تفترض بأن المركز الحقيقي لا يمكن أن يقع في الشرق الأقصى أو آسيا أو أفريقيا، عين هذه العقلية الآن هي ما تقع تحت الاختبار، فقد أثير من جديد الأسئلة القديمة حول "العالم العربي". تم تناول قضايا أفريقيا، أو جنوب الصحراء، بشيء من الاختصار في هذا المجلد، فهي لم تنهض حتى الآن. قبل عام 1955 كان هناك شعوراً بأن آسيا قد نهضت من سباتها، إذ لاحظنا أموراً هامة، منها أن الهند التي كانت تابعة لبريطانيا قد نالت استقلالها، وكذلك باكستان، والصين أصبحت جمهورية الصين الشعبية، وأيضاً إندونيسيا وبورما والفلبين أصبحت دولاً مستقلة. إلا أننا لا يمكننا أن نقول أن آسيا للآسيويين عن حق. فكما رأينا منذ قليل أن مستقبل الهند الصينية لم يتحدد بعد، وأن الحرب الكورية عام 1950 جلبت أجناساً أخرى غير آسيوية لشبه الجزيرة. وظلت اليابان تحت الوصاية الأمريكية. ولازال هناك العديد من الأمور الأخرى الغامضة حول الكيفية التي ستبدو عليها آسيا في العالم الجديد، وما إذا كانت القارة الآسيوية بالفعل مجرد مجموعة من العوالم على أرض الواقع -ربما جنوب آسيا وجنوب شرق آسيا وشرق آسيا -يتشاركون فيما بينهم على نحو طفيف ومشاكس رؤى سياسية وثقافية مشتركة حول العالم. هذه هي الخطوط الرئيسية أو القليل منها ما سوف نتعرف عليه في

هذا الفصل. ما زال الانسحاب (أو الطرد) الأوروبي لديه بعض الوقت حتى يحدث، إلا أن النهاية كانت واضحة. كانت أسئلة الفرد حول الهوية القطرية أو القومية لها علاقة بالسؤال العام حول انحياز جميع البلدان الناشئة. التغييرات التي أُلقي الضوء عليها لديها أهمية فردية، هل كلها تتعلق بالعالم الثالث؟ وجاء الرد من إندونيسيا التي حصلت على استقلالها عن الحكم الهولندي عام 1949. فقد دعا رئيسها، أحمد سوكارنو، الزعماء الأفروآسيويين إلى بلاده في أبريل عام 1955 لبحث مسألة التنسيق العالمي بينهم، ووقع اختياره على مدينة باندونج، التي تقع في جاوة الغربية، كمكان يُعقد فيه الاجتماع، تلك المدينة التي تعبر مبانيها في الخمسينات من القرن العشرين عن مزج بين أحداث ماضيها وماضي البلدة. احترق جزء من هذه المدينة عام 1945 أثناء القتال الذي دار بين المتمردين والقوات الهولندية التي كانت تحاول إعادة فرض سلطاتها الاستعمارية. كان طقسها وفنادقها التي تعود إلى أواخر القرن التاسع عشر ونواديها هم من جعلوها محط أنظار الأوروبيين، كانوا يطلقون عليها "باريس جاوة". عُقد الاجتماع في ذلك المبنى الذي كان سابقاً نادي كوكورديا. كانت باندونج معرضاً درس فيها ذات يوم سوكارنو وهو صغير. هناك مسألة وهي ما إذا كان المزج بين الأسلوب الجاوي والأسلوب الهولندي الاستعماري يمكن بالتالي أن يسهل من عملية المزج الأفروآسيوية. كانت إندونيسيا نفسها كائناً متزعزعاً، فقد كانت في الأصل جزر هندية. وكان من ضمن الوفود التي أتت إلى إندونيسيا العمال الصينيون الذي جاءوا تحت الحماية الهولندية لتطوير البنية التحتية في باندونج. وكانت المجتمعات الصينية حاضرة بقوة في الحياة التجارية في الجزر الأخرى. كان التوتر الذي يسود العلاقة بين جزر إندونيسيا مرضاً مزمناً، يعكس بدوره التوازنات الدينية والثقافية المختلفة. دخل الإسلام إندونيسيا عن طريق التجار العرب ودخلت المسيحية عن طريق البعثات التبشيرية الهولندية (بشكل أساسي المسيحية البروتستانتية)، وكلتا الديانتين فرضت نفسيهما على ثقافة تظهر جذورها الهندوسية. دعا محمد ناصر، رئيس أكبر حزب إندونيسي وهو ماسيومي، إلى مستقبل إسلامي لا يمكن وصفه بأنه شيوعي أو رأسمالي. الوحدة الإسلامية في ذاتها تؤسس لعالمٍ ثالث. في الحقيقة كان المزيج الإندونيسي ثري وقابل للانفجار في أي لحظة.

بعد أربع سنين من الكفاح، ذهب سوكارنو وأقرانه إلى لاهاي في هولندا في أغسطس عام 1949 لتوقيع اتفاقية بتأسيس الولايات الإندونيسية الفيدرالية المتحدة. فشلت كل المحاولات الهولندية لتشكيل نوع من السيادة المشتركة، لكن كان من المفترض أن يكون الاتحاد الهولندي الإندونيسي المشترك الذي يحافظ على استمرار العلاقة، إلا أنه في نهاية العام أصبح حزب. لعبت الولايات المتحدة الأمريكية دوراً ليس بالقليل في إجبار هولندا على الانسحاب، ملوحين بإمكانية قطع "معونة المارشال" عن هولندا. أرادت الولايات المتحدة دعم سوكارنو الذي قمعت قواته عصياناً شيوعياً العام المنصرم. على الرغم من الاستقلال، إلا أنه لا زال هناك ما تعتبره الحكومة الجديدة عملاً غير منجز. احتفظ الهولنديون بغينيا الجديدة الغربية، التي كانوا يديرونها بانفصال بينما كانت إندونيسيا تطالب بضمها. واستمر أيضاً الحكم البرتغالي في تيمور الشرقية.

لم يجد الزعماء المجتمعون في باندونج أن مضيفهم يجذبهم للحديث عما يواجهه من صعوبات محلية، إنما ما أضفى على المؤتمر سيره المنطقي هو الحديث عن التضامن من اجل مكافحة الاستعمار، لكن بالنسبة لأغلب المشاركين كان "بناء الأمة"، على الرغم من عدم وصفه، هو المهمة الرئيسية التي أخذوها على عاتقهم بأي وسيلة ممكنة. قام بتنظيم المؤتمر إندونيسيا وبورما (لاحقاً ميانامار) وباكستان وسيلان (لاحقاً سريلانكا) والهند. كان الزعماء الحاضرون من الدول الآتية: أفغانستان، بوتان، بورما، كمبوديا، سيلان، جمهورية الصين الشعبية، مصر، إثيوبيا، الهند، إندونيسيا، إيران، العراق، اليابان، الأردن، لاوس، لبنان، ليبريا، ليبيا، منغوليا، نيبال، باكستان، الفلبين، المملكة العربية السعودية، تايلاند، تركيا، فيتنام (الجنوب والشمال)، واليمن. لم تُدعى جنوب أفريقيا أو تايوان أو إسرائيل أو جنوب أو شرق كوريا. حتى بعد هذا الإغفال، فإنك إن ألقيت نظرة على هذه القائمة من الدول فإنك ستجد التنوع في الحجم والموقف والإطار الذي يجمع بين هذه الدول. كانت الرموز التي لها ثقل ونالت مركزية الحدث جواهر ل نهرو زعيم الهند وتشو أن لاي زعيم الصين، كاد الأخير إلا يذهب إلى باندونج قط عام 1955، حيث انفجرت الطائرة التي كانت من المفترض أن تقله أثناء سفره، فلو لم يكن غير الطائرة، كان سيُعد من بين القتلى.

كان من المهم جداً تواجد الصين في هذه المرحلة العالمية الجديدة. وفي خطوة تتجاوز مسألة المفاوضات، شارك تشو أن لاي، كما ذكر آنفاً، في جنيف العام السابق، في تسوية قضية الهند الصينية. حينما وصل نهرو إلى باندونج كانت الصين تفخر بإظهارها أن الديمقراطية النيابية لم تكن منتجاً غربياً ذو أهميةٍ فحسب، بل، بمرور الزمن، تمكنت من العمل في صالح الشعوب. على الأقل جزء من السلطة الأخلاقية والزعامة التي كان نهرو يتطلع إليها عندما كان في إندونيسيا تقوم على هذا الإدعاء. أما ما إذا كان تحقيق الديمقراطية جعل منها فعلاً المثال الذي يصلح لآسيا فإنها قضية أخرى، ربما يكون للبعض الآخر رأياً مخالفاً. كان من المتوقع أن يتم الإعلان عن مبدأ يتم التوصل إليه في جمع مثل هذا يدعي أنه يمثل نصف العالم، أما السؤال عن "طبيعة هذا العالم" الذي يمثله فهو أمر آخر. كان هناك العديد من الأصوات المختلفة. كانت الخطب والتصريحات التي ألقيت في المؤتمر تعبر عن آمالٍ عريضة. في ميثاق يحتوي على عشر نقاط تم الإعلان عن اتفاقية بين المشاركين حول مبادئٍ عظمى من بينها احترام حقوق الإنسان الأساسية وأهداف ومبادئ ميثاق الأمم المتحدة وسيادة جميع الأمم ووحدة وتكامل أراضيه. وأيضاً تم التأكيد على المساواة بين جميع الأجناس والمساواة بين جميع الأمم كبيرها وصغيرها. سوف يمتنع المشاركون عن التدخل في شئون أي دولة أخرى، وعن المشاركة في أي ترتيبات دفاع مشترك من شأنه أن يخدم مصالح الدول العظمى، وأيضاً عن ممارسة أي ضغوط على دولة أخرى. كان من الواضح أن المقصود بـ "القوى العظمى" في المقام الأول هي الدول الغربية. كان مكافحة الاستعمار هو الفكرة التي يمكن أن يتحد عليها الجميع، برغم عدم وضوح مسألة ما إذا كان الاتحاد السوفيتي متورطاً في الاستعمار أم لا. لم تكن المناسبة تصلح للدخول في نقاشات أكاديمية حول متى بدأ الاستعمار ومتى انتهى. وقع تشو أن لاي على مادةٍ تنص على أن الصينيين الذين يعشون في الخارج مدينون بالولاء للبلاد التي يعيشون فيها في المقام الأول. صرح سوكارنو بفخر في خطبته الافتتاحية أن هذا هو المؤتمر الدولي الأول للملونين في تاريخ البشرية.

إن التأكيد على مسألة اللون لهو أمر جدير بالملاحظة. لم تغفل مفارقات اللحظة

الكاتب الأمريكي الأسود والشيوعي سابقاً ريتشارد رايت الذي يعيش خارج الولايات المتحدة الآن والذي حضر المؤتمر. في كتابه ستار اللون (الصادر عام 1956)، سأل ريتشارد نفسه سؤالاً حول الشيء الذي تشترك فيه جميع الأمم، وكانت إجابته "لا شيء". كان الشيء الذي يجمع بينهم، وإن كان بدرجاتٍ مختلفة، هو العلاقة مع الغرب التي منحتهم شيئاً من التماسك. وكانت المفارقة هي أن اللغة الوحيدة التي مكنت أغلب المندوبين من التواصل مع بعضهم البعض بحرية هي اللغة الإنجليزية. يبدوا أن الإجابة الوحيدة على ما بدأ يسمى "بالعالم الثالث" – ذلك المصطلح الذي صيغ عام 1952 –هي "عدم الانحياز". بيد أنه لم يتضح بعد عندما يعود ناصر ونهرو وتشو أن لاي وآخرون إلى بلادهم هل سيتم تفسير "مكافحة الاستعمار" على أنه شيء مميز وإيجابي. لم يكن هذا الاجتماع في إندونيسيا مناسباً في هذا الوقت، فقد كان تجمعاً آسيوياً موسعاً. كانت أفريقيا ممثلة فقط في ثلاث دول هي مصر وإثيوبيا وليبريا، فنادراً ما كانت أفريقيا التي يمثلونها النموذج المثالي. لذلك لم تُرسل دعوة حضور إلى جنوب إفريقيا. مع الوضع في الاعتبار أنه لم تكن هنا دولاً أخرى مستقلة، فإن الموقف لم يكن مثيراً للدهشة – لكن هذا الوضع كان على وشك التغير وبسرعة. وسوف يتم الكشف عن ذلك في الجزء الثالث. كان لغياب أفريقيا عن المؤتمر، حسبما يطرحه السياق في هذا الجزء من الكتاب، دلالةً على مقدار ما ينتظرنا من إعادة ترتيبات تعكس أهمية هذه القارة عالمياً. على المدى البعيد، قد تدلل "باندونج" أو لا تدلل على أنه كان هنا بالفعل "عالم ثالث" قادر بذاته على أن يلعب دوراً بجانب العالمين الآخرين في توجيه شئون العالم لكن حاليا ليس الوضع على ما كان يبدوا عليه. فبعد عدة أشهر قليلة من المؤتمر الإندونيسي، في يوليو عام 1955، عُقد مؤتمر مختلف تماماً في سويسرا الحيادية. كانت "قمةً" جمعت بين القوى العظمى الأربعة: الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وبريطانيا وفرنسا. لقد كان تشرشل يتوق إلى اجتماعٍ مثل هذا. كان خليفته إيدن الذي كان على علاقة جيدة بـ أيزنهاور منذ الحرب العالمية، هو من دعا إلى عقد مثل هذه القمة بسرعة. على نحو عقد من الزمن لم يحدث لقاء وجهاً إلى وجه على أعلى مستوى مثل هذا وهو ما قد يحرز خطوةً إلى الأمام. على الجانب السوفيتي، كان أيزنهاور شخصاً معروفاً. وعلى الجانب الأمريكي، كان من الواضح أن خروتشوف هو

الشخص الذي يتطلع إلى زعامة ما بعد ستالين. ربما يشير هذا إلى إمكانية حدوث بداية جديدة للعالم. كان التوتر الحاصل بين واشنطن وبكين حول الجزر التي تطل على سواحل مضيق فورموسى حاداً مع بداية هذا العام. قلق رجال الدول بشدة من إمكانية استخدام الأسلحة النووية. سأل أيزنهاور نفسه ما إذا كان من الممكن أن يفكر "العالم المتحضر" في استخدام هذه الأسلحة ضد الصين. تبلغ قوة القنابل المتوفرة حالياً آلاف المرات تلك التي أُسقطت على اليابان في الحرب. وأيضاً تطورت القنابل السوفيتية وتطور معها إمكانات إطلاقها. كان هناك متشائمون في عام 1945 اعتقدوا أن العالم سوف يدمر نفسه على يدِ القوى العظمى. وبعد عقدٍ من الزمن لم يحدث هذا. إلا أنه بات واضحاً أن مصطلحات مثل "النصر" أو "الهزيمة" لم يعد لها معني في ظل الصراع النووي. كان قرار أيزنهاور بالذهاب إلى جنيف له مغزى كبير؛ فقد فسر معناه بأنه قد وضع نهاية لأي حلمٍ أمريكي بالفوز في حرب عسكرية. فمن أن لآخر، على مدى السنوات القليلة الماضية كان دالاس يتحدث ليس فقط عن "احتواء" وإنما عن تحرير الشعوب التي تعيش مستعبدة في ظل حكوماتٍ مستبدة؛ كان يعني بذلك شرق أوروبا. فعندما قابل بولجانين في جنيف رفض دالاس أن يبتسم في صورة تجمع بينهما – حتى لا تحمل أي إشارة تخيب آمال التحرر. إلا أن رئيسه لم يستطع إلا أن يبتسم ابتسامة عريضة. على كلٍ لم يؤد هذا إلى إحراز أي تقدم ملحوظ في تقليص عملية سباق التسلح. قدم أيزنهاور عرض "السماوات المفتوحة" والذي يمكن كل طرف من أن يحلق بطيرانه فوق إقليم الطرف الآخر ليلتقط صوراً عسكرية (بل ذهب أيزنهاور إلى أبعد من ذلك وهو أن يحلق أينما شاء)، وهو ما باء بالفشل. وعندما عاد الزعماء إلى بلادهم، كان هناك شيئاً يدعى روح جنيف كما عبر عنه المعلقون على الرغم من كونه لم يؤد إلى شيء ملموس. بات واضحاً أن "المسألة الأوروبية" تمت تسويتها كما ناقشنا ذلك سابقاً. ربما ترقى "الغرب" إلى مستوى أخلاقي عالي بالنسبة لما عليه شرق أوروبا؛ فعلى الرغم مما حققته من استفادة وإن كانت ضئيلة، إلا أنها سجلت تراجعاً في العالم الثالث. ما حدث في عالم باندونج وكذلك في عالم جنيف وما حدث من تفاعل بينهما قد يمدنا بالأداة الرئيسية لفهم مستقبل هذا العالم.